ملخّص ما بين واقعين واقع الدنيا وواقع الدين (ح٢٧) / عبد الحليم الغزّي
المذهب الطوسي (ج٨)
معالم المذهب الطوسي (ق٤)
الاثنين : ٢٥/ربيع الثاني/١٤٤٤هـ - الموافق ٢١/١١/٢٠٢٢م

الجزء الثامنُ من عُنواننا: "**المذهبُ الطوسيّ**".
لا زلتُ أُحدِّثكُم في أوّل مَعلم من مَعالم هذا المذهَب "**نقضُ بيعة الغدير بأسلوبٍ شيطاني**"
• **في هذه الحلقة سأقتطفُ لقَطاتٍ من تبيانه هذا ترتبطُ بأمير المؤمنين، وإذا كانَ هُناكَ من مُتّسعٍ من الوقت سأنتقلُ إلى بعض لقطاتٍ ترتبطُ بالصدّيقة الكُبرى صلواتُ اللّه عليها.**
مِنَ العناوين الواضحة في الكتاب الكريم المختصّة بسيّد الأوصياء؛ (الصّراطُ المستقيم)، ومَرّ الحديثُ عنه وكيفَ حرّفَ الطوسي ما حرّفَ حينما تَحدَّثَ عن مَعنى "الصّراط المستقيم".
عُنوانٌ آخر من العناوين المهمّة في الكتاب الكريم الّتي تُشيرُ إلى سيّد الأوصياء صلواتُ اللّه عليه؛ (**النَّبأُ العظيم**).
• سورة النبأ: ﴿**عَمَّ يَتَسَاءلُونَ ۞ عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ ۞ الَّذِي هُم فِيهِ مُختَلِفُونَ ۞ كَلَّا سَيَعلَمُونَ ۞ ثُمَّ كَلَّا سَيَعلَمُونَ**﴾.
ماذا يقولُ الطوسي؟
في الجُزء العاشر من تبيان الطوسي، طبعة ذوي القُربى، الصفحة ٢٣٨، هكذا يقولُ الطوسي: **والنَّبأُ معناهُ الخبرُ العظيم الشأن، كمعنى الخبر عن التوحيد في صفة الإله وصفة الرّسول، والخبر عمّا يجوزُ عليه وما لا يجوز** - "عمّا يجوزُ عليه وما لا يجوز"؛ عمّا يجوزُ على اللّه وما لا يجوزُ على اللّه من صفات الكمال والنقص، أو عمّا يجوز على رسول اللّه وعمّا لا يجوزُ عليه من صفات كماله ونقصه، قطعاً لا نقص لرسول اللّه وإنّما هذا الكلامُ افتراضيّ، وأنا أشرحُ كلام الطوسي.
-**وقالَ مُجاهد: النَّبأُ العظيمُ الشأن؛ "القُرآن"** - "عمَّ يتَساءَلُونَ عَنَ النَّبإِ العَظيمِ"، عن القُرآن بحسب مُجاهد - **وقالَ قتادة وابنُ زيد: هُو السؤال عن البعث بعد الموت لأنَّهم كانوا يُجمعون على التكذيب بالقُرآن** - مَن هُم؟ المُشركون الكافرون - **"الّذي هُم فيه مُختلفُون"، قال قتادة: معناهُ الّذي هُم فيه بين مُصدِّقٍ ومُكذِّب، فقال اللّهُ سُبحانهُ مُهدِّداً لهم ومُتوعِّداً: "كلّا سَيَعلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَيَعلَمُونَ"، ومعنى "كلّا"؛ رَدعٌ وزجر، كأنّهُ قال ارتدعوا وانزجروا ليس الأمر كما ظننتُم** - هذا هو الّذي قالهُ، ليسَ هُناكَ من إشارة لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ إلى أمير المؤمنين.
• **في دين العترة الطاهرة هكذا يقولونَ صلواتُ اللّه عليهم:**
في الكافي/ الجزء الأوّل/ طبعة دار الأسوة/ طهران - إيران/ الصفحة ٢٣٢/ الحديثُ الثالث: **بسنده** - بسند الكليني - **عَن أبي حمزة** - إنَّهُ الثّمالي رضوانُ اللّه تعالى عليه - **عن أبي جعفرٍ** - الباقر صلواتُ اللّه عليه - **قال: قُلتُ لهُ** - مَن القائل؟ أبو حمزة الثّمالي - **قال، قُلتُ لهُ: جُعلتُ فداكَ، إنَّ الشّيعة يسألُونكَ عن تفسير هذه الآية؛ "عمَّ يتَساءلُونَ، عَن النَّبإِ العَظيم"؟** - هذا هو تفسيرها الّذي سيبيّنهُ لنا إمامُنا الباقر - **قال: ذلك إليّ إن شئتُ أخبرتُهُم وإن شئتُ لم أُخبرهُم، ثُمّ قال: لكنّي أُخبرُكَ بتفسيرها، قُلتُ: "عمَّ يتَساءلُون"؟ فقال الإمامُ: هي في أمير المُؤمنين صلواتُ اللّه عليه** - هذا كَلامُ الباقر - **كان أميرُ المُؤمنين يقُول: ما للّه عزَّ وجلَّ آيةٌ هي أكبرُ منّي ولا للّه من نبأٍ أعظمُ منّي** - إنَّهُ الآيةُ الأكبر، إنَّهُ النَّبأُ الأعظم.
زيارةٌ مُطلقةٌ نزورُ بها أمير المؤمنين في اللّيل والنّهار من قريبٍ ومن بعيد، هكذا نُسلّم على سيّد الأوصياء: **السّلامُ على النّبأ العظيم، السّلامُ على مَن أنزلَ اللّهُ فيه وإنَّهُ في أُمِّ الكتابِ لَدينا لَعليٌّ حَكيم، السّلامُ عَلى صراط اللّه المُستقيم** - لأنت أنت يا أمير المؤمنين يا أمير الوجود، أنتَ الصّراطُ المستقيم ومَن غيرُك؟!
وفي الزيارة الغديريّة المخصوصة الّتي جاءتنا عن إمامنا الهادي صلواتُ اللّه عليه، في "مفاتيح الجنان"، هكذا نُسلّمُ على أمير الأمراء: **السّلامُ عليكَ يا دينَ اللّه القويم** - إن لم تكُن يا سيّدَ الأوصياء إن لم تكُن أنت دين اللّه القويم فمن هذا الّذي نُخاطبهُ ونقولُ لهُ من أنَّكَ دينُ اللّه القويم؟! - **وصراطهُ المُستقيم، السّلامُ عليكَ أيُّها النّبأُ العَظيم الَّذي هُم فيه مُختلفُون وعنهُ يُسألُون** - هذا تفسيرٌ للآيات نفسها، هذا الكلامُ ما هو مَجازيّ، نحنُ نُخاطبُ سيّد الأوصياء في زيارته، والزياراتُ هي نُصوصٌ مواثيق، نُصوصٌ عهود..
في سورة (ص)، الكلامُ هُوَ هُوَ عن أمير المؤمنين صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه:
في سورة (ص)، الآية ٦٧ بعدَ البسملة وما بعدها: ﴿**قُل هُوَ نَبَأٌ عَظِيم**﴾، هُوَ هُوَ عليّ، "**قُل هُوَ**"؛ إنَّهُ عليّ، ضميرُ الشأنِ هُنا يعودُ على الذّات العلويّة، هُوَ هُوَ نفسهُ الّذي ذُكِر في سورة النّبأ: ﴿**عَمَّ يَتَسَاءلُونَ ۞ عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ**﴾، هذه الذّات الّتي عُنونت بالنّبأ العظيم هي هي يُعبّرُ عنها بضمير الشأن، "**قُل هُوَ**"؛ "**قُل هُوَ**"؛ هُوَ ضميرُ الشأنِ هُنا يُشيرُ إلى محور الحق، فالحقُّ جامعٌ بين القُرآن والوجود، والحقُّ يدورُ مع عليٍّ حيثُما دار، لأنَّ علياً هو المركز، ولأنَّهُ الآيةُ الكُبرى في هذا الوجود، ولأنَّهُ النّبأُ الأعظم في هذا الوجود، وعن هذا يُحدِّثنا القُرآن: ﴿**قُل هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ۞ أنتُم عَنهُ مُعرِضُون**﴾، الإعراضُ من قبلكم، مثلما يُعرِضُ الطوسيّون صخّم اللّه وجوههم من أوّلهم إلى آخرهم - **مَا كَانَ لِيَ من علمٍ بِالمَلَإِ الأعلَى إِذ يختَصِمُونَ**﴾، هذا هُوَ النّبأُ العظيم.
في (تفسير القمّي)/ طبعة مؤسّسة الأعلمي/ بيروت - لبنان/ الصفحة ٥٤٨، عن الصّادق صلواتُ اللّه عليه: **وَذلكَ قولُ الصّادق** - القُمي يقول - **وَذلك قولُ الصّادق: واللّه إنَّكُم لَفي الجنَّة تُحبرُون وفي النّارِ تُطلَبُون** - "وفي النّارِ تُطلَبُون"؛ أهلُ النّارِ يطلبون أن يتواصلوا معكُم ممّن كانوا معكُم في الدّنيا إنَّهم مُنافقو الشيعة، الرواياتُ حدّثتنا عن هذا - **ثُمَّ قالَ عَزَّ وَجَلَّ: يَا مُحَمَّد، "قُل هُوَ نَبَأٌ عَظِيم"؛ يَعني أميرَ المُؤمنين** - هذا ما هو كلامُ الجبائي والرماني ومُجاهد وقتادة، هذا كلامُ الصّادق، إلى آخرِ الآيات - **أنتُم عنهُ مُعرِضُون** - هذا النّبأُ العظيمُ هو سيّد الأوصياء.
النّبأُ العظيمُ إمامُ كُلِّ زمانٍ في زمانه، نبأنا العظيمُ في وقتنا هذا هو الحُجّةُ بنُ الحسن.
في غيبة النّعماني، طبعةُ أنوار الهُدى/ الطبعةُ الأولى/ قم المقدّسة/ الصفحة ٣٤٨/ حديثٌ عن إمامنا الصّادق صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه: **فَلَا يَظهَرُ صَاحِبُكُم حَتَّى يَشُكَّ فيه أهلُ اليَقين** - إنَّهُ يتحدَّثُ عن قائمِ آلِ مُحمَّد، ويستمرّ في كلامه: "**قُل هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أنتُم عَنهُ مُعرِضُون**".
ماذا يقولُ الطّوسي؟
في الجزء الثامن من التبيان، الصفحة ٥٧٩: **ثُمَّ قالَ: قُل لَهم يا مُحَمَّد هُوَ نَبأٌ عَظيم، قالَ مُجاهد والسُدّي: يعني القُرآن هُو نَبأٌ عظيم، أي الخبرُ العظيم، وقالَ الحسن** - إنَّهُ الحسنُ البصري - **هُوَ يومُ القيامة** - "قُل هُوَ نَبأٌ عَظيم أنتُم عَنهُ مُعرِضُون" - **هُو يومُ القيامة، ثُمّ خَاطَبَ الكُفَّارَ فقالَ: أنتُم مَعاشِرُ الكُفَّار عنهُ**

مُعرِضون عن هذا النَّبأ العَظيم، لا تعلمونَ بما يُوجِبُ مثلُهُ من اجتناب المعاصي وفعل الطاعات - باللّه عليكُم هذا الكلامُ أينَ تضعونهُ وبأيِّ مِقياسٍ تقيسونهُ إذا أردتُم أن تُقايسوا كلامَ الطوسي وكلامَ أئمَّته مجاهد والسُدّي وأن تُقايسوا هذا مع كلامي وكلامِ أئمَّتي صلواتُ اللّه عليهم؟!

• سأذهبُ بكم الآنَ إلى أهمِّ آيةٍ في الكتابَ الكريم، الآيةِ الحاكمة ليس على القُرآنِ فقط، وإنَّما على الإسلامِ كُلِّه، القُرآنُ جُزءٌ من الإسلام، إنَّها الآيةُ ٦٧ بعدَ البسملة من سورة المائدة بحسبَ المعروف في المصاحف، وجاء تسلسلُها هُنا بحسبِ طبعة التبيانِ الَّتي بينَ يديَ من أنَّها الآيةُ ٧٠، ماذا يقولُ الطوسي؟

هذه الآيةُ بالنسبة لنا نحنُ الَّذي نقولُ إنَّنا شيعة واضحةٌ، هذه آيةُ أمير المؤمنين، هذه آيةُ الغدير، هل أحتاجُ إلى أن أجمعَ لَكُم نصوصَ الأحاديثِ بِخصوصِ هذه الآية؟ هذه آيةٌ نحنُ نعرفها جميعاً..

هذا الطوسي ماذا يقول؟

في الجزء الثالث من التبيان، في تفسيرِ هذه الآية، من الصفحة ٥٨٧ يقول: **قيلَ في سَببِ نزولِ هذه الآية أربعةُ أقوال** - من طيّح اللّه حظك، هو قولٌ واحد إنَّها في غدير خُم، أربعةُ أقوال ما معنى إيرادُ الكَذبِ والكُفر؟! وعادةً يبدؤونَ بالقول الأهم، ورُبَّما يبدأ بادئٌ بالقول الأضعف لكنَّ المتعارَف أنَّهم في كُتب التفسيرِ يبدؤونَ بالقول الأقوى، ما هي هذه الأقوالُ الأربعة؟

-أحدُها قال محمّد بن كعب القرطي وغيرهُ: إنَّ إعرابياً هَمَّ بقتل النَّبي فسقطَ السَّيفُ من يده وجعلَ يَضرِبُ برأسه شجرةً - هو لوحده يضرِبُ برأسه شجرةً، هذا هو الَّذي يذكرونهُ في كُتبِ تفاسيرهم تفاسير النَّواصب - **حتَّى انتثرَ دماغهُ** - ما علاقةُ هذه الآية بهذه الواقعة؟! الآيةُ تقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيكَ من رَّبِّكَ وَإِن لَّم تَفعَل فَمَا بَلَّغتَ رِسَالَتَهُ**﴾، فهل بَلَّغ رسولُ اللّه هذا الأعرابي وهذه الآيةُ جعلت الرِّسالة بِكُلِّ تفاصيلها أن تكونَ بلا قيمةٍ إن لم يُبلِّغ هذا الأعرابيَ؟! ماذا أقولُ لكم؟!

القول الثاني - إنَّ النَّبي كان يَهاب قُريشاً فأزالَ اللّهُ عَزَّ وجلَّ بالآية تلكَ الهَيبة - النَّبيّ يَهابُ قُريشاً ما قيمةُ قريش حتى يهابها رسولُ اللّه؟! قد يحسبُ لقريشٍ من جهة أنَّها تُؤثِّر على القبائل الأخرى إذا كان المرادُ هذا، هذا الكلامُ مقبول، أمَّا على المستوى الشخصي والنَّفسي لرسول اللّه أنَّهُ يهابُ قُريشاً ما قيمةُ قُريش؟! - **وقيلَ كانَ للنَّبي حُرَّاسٌ بينَ أصحابه فلمَّا نزلت الآيةُ قال الحقوا بِملاحقكم** - بالأماكن الَّتي أنتُم تعودونَ إليها إلى بُيوتكُم مثلاً - **فإنَّ اللّه عصمني من النَّاس** - الآيةُ لا تتحدَّثُ في أصلها عن العِصمة من النَّاس، الآيةُ في أصلها تتحدَّثُ عن تبليغ أمرٍ إذا لم يُبلِّغهُ رسولُ اللّه فإنَّهُ ما بَلَّغَ الرِّسالة ومن تفاريع الموضوع: (وَاللّهُ يَعصمُكَ منَ النَّاس)، ومن تفاريع الموضوع: (إنَّ اللّهَ لاَ يَهدي القَومَ الكَافِرينَ) فأينَ هذا من هذا؟

- الثالث؛ قالت عائشةُ؛ إنَّ المرادَ بذلكَ إزالةُ التوهُّم أنَّ النَّبي كَتمَ شيئاً منَ الوحي للتقيّة - تفسيرٌ شيطانيٌّ واضح من أنَّ الآيةَ جاءت لدفع التوهُّم أن يَتوهَّمَ البعض من أنَّ النَّبيّ كَتَمَ بعضَ الأمور وما بيَّنها.

-الرابع؛ قَالَ أبو جعفر وأبو عبد اللّه عليهُما السلام - الباقرَ والصّادق - **إنَّ اللّهَ تعالى لَمَّا أوحى إلى النَّبي أن يستخلفَ عَلِيّاً كانَ يخافُ أن يشُقَّ ذَلكَ** - النَّبيَ كانَ يخاف - **على جماعة من أصحابه** - أن يكونَ أمراً عسيراً عليهم - **فأنزلَ اللّهُ تعالى هذه الآية تشجيعاً لهُ على القيامِ بما أمرهُ بأدائه، والآيةُ فيها خطابٌ للنَّبي** - هذا كلام الطوسي - **وإيجابٌ عليه تَبليغَ ما أُنزِلَ إليه من رَبِّه وتهديدٌ لهُ إن لَم يَفعل وإنَّهُ يجري مَجرى إن لم يَفعل ولم يُبَلِّغ رسالته** - التعابيرُ قاصرةٌ جداً العُجمةُ واضحةٌ، انعدامُ الفصاحة والبَلاغة واضحٌ في كُلِّ عبَائرِ هذا الكتاب - **فإن قيلَ؛ كيف يجوزُ ذلك ولا يجوزُ أن يقول إن لَم تُبَلِّغ رسالته فما بَلَّغتها لأنَّ ذَلكَ معلومٌ لا فائدة فيه، قُلنا؛ قَالَ ابنُ عَبَّاس: معناه إن كتمت آيةً ممَّا أنزل إليكَ فَمَا بَلَّغتَ رِسالته والمعنى أنَّ جَريمتهُ كجريمته لو لم يُبَلِّغ شيئاً ممَّا أنزِلَ إليه في أنَّهُ يستحقُّ به العُقوبةَ من رَبِّه** - ويستمرُّ بمثل هذا الكلام، لم يُشر إلى أيِّ شيء من مضمون بيعة الغدير على الإطلاق، في الجزء السادس من تفسير التبيان، من صفحة ٥٨٧ - ٥٨٩ ، كلامهُ مُزعج، والعُجمةُ قاتلةٌ فيه، والتعابيرُ غير واضحة، وهذا هو شأنُ مراجعِ النَّجف وكربلاء في كُلِّ كتاباتهم.

لم يُشر إلى أيِّ شيء من بيعة الغدير سوى ما نقلهُ عن إمامنا الباقرِ والصَّادق، وجعلَ هذا القولَ قولاً رابعاً، جعلهُ آخر الأقوال بعدَ أن نَقلَ مَا نَقلَ من تُرّهات نواصبِ سقيفة بنيَ ساعدة.

حينما أذهبُ إلى تفسيرِ هذا النَّاصبي الفخر الرازي، ناصبيّ من الدرجة الأولى من أئمَّة الشوافع، تفسيره (التفسيرُ الكبير)، المجلَّدُ الَّذي يشتملُ على الجزء الحادي عشر والثاني عشر، طبعةُ المكتبة التوفيقة/ القاهرة - مصر/ الصفحة ٤٢ من الجزء ١٢، عندَ الآية نفسها: **المسألةُ الثالثة؛ ذكرَ المفسرونَ في سببِ نزول الآية وُجوهاً** - وعَدَّد؛ الأوّل إلى أن وصلَ إلى العاشر، هكذا قال: **نزلت الآيةُ في فضلِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ عليه السّلام** - مكتوبٌ (عليه السّلام) هو هذا الَّذي قالهُ الفخرُ الرازي لهذه الكلمات وأمثالها يقولونَ من أنَّ الفخر الرازي شيعيّ، أبداً هو ناصبيٌّ من الطراز الأوّل وينتقصُ من أمير المؤمنين ومن آلِ مُحمَّد كثيراً في كتابه، ويُفضِّلُ الأنجاسَ النَّواصبَ عليهم بشكلٍ واضح في كُلِّ كتابه من أوَّله إلى آخره.

- ولَمَّا نزلت هذه الآيةُ أخذَ بيده وقالَ: مَن كُنتُ مَولاهُ فعليٌّ مَولاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَن وَالاه وَعَاد مَن عَادَاه، فَلقيَهُ عُمر رضي اللّه عنه فقالَ: هَنيئاً لكَ يا ابن أبي طالب أصبحتَ مَولاي ومَولى كُلِّ مُؤمنٍ ومُؤمنة، وهو قولُ ابن عبّاس، والبراء بن عازب، ومُحَمَّد بن عَلِيّ - "مُحَمَّد بنِ عليّ"؛ يُشيرُ إلى إمامنا الباقر صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، هذا الفخرِ الرازي نقلَ شيئاً من تفاصيل بيعة الغدير، الطوسيَ لم ينقُل شيئاً من تفاصيل بيعة الغدير!

مُفسِّرٌ ناصبيّ آخر من مُفسِّري سقيفة بني ساعدة، جلالُ الدين السيوطي، المتوفّى سنة (٩١١) للهجرة، الدرُ المنثور في التفسيرِ بالمأثور/ طبعةُ دار إحياء التراث العربي/ بيروت - لبنان / الصفحة ١٠٩/ الجزء الثالث: **وأخرج ابنُ أبي حاتم وابنُ مُردويه وابنُ عساكر عن أبي سعيد الخُدري، قال: نزلت هذه الآية: " يا أيُّها الرّسُولُ بلِّغ مَا أُنزِلَ إليكَ من رَّبِّكَ"، عَلى رسُول اللّه صَلّى اللّه عليه وسلّم يوم غدير خم في عليٍّ بنِ أبي طالب، وأخَرجَ ابن مردويه عن ابنِ مَسعود قالَ: كُنَّا نقرأ على عهد رسول اللّه صَلّى اللّه عليه وسلّم: "يَا أيُّهَا الرَّسُولُ بلِّغ مَا أُنزِلَ إليكَ من رَّبِّك أنَّ عَلِيّاً مَولَى المُؤمنين"** - كانوا يقرؤونَ هذا في قُرآنهم بحسبِ ابن مسعود، وهذا في كُتبِ تفاسيرهم، بغضّ النظرِ هل يعدّونَ هذه الروايات ضعيفةً، صحيحةً، ليس مُهمّاً هذا، أنا أضربُ لكُم أمثلةً من كُتُبِ تفسير النّواصب وقارنوها مع هذا السافل الطوسي، أيَّ التفاسير أضرّ تفسيرُ التبيان أم هذه التفاسير؟

هذه الآيةُ آيةُ الغدير هي الآيةُ الحاكمةُ على كُلِّ القُرآن: ﴿**وَإِن لَّم تَفعَل فَمَا بَلَّغتَ رِسَالَتَه**﴾، قطعاً الخطابُ ليس لرسول اللّه في مضمونه، رسولُ اللّه أجلُّ وأعظمُ من أن يكونَ هذا الخطابُ اللفظيُّ بحقِّه، هذه الآيةُ تقولُ للأمَّة؛ من دُون ولاية عليٍّ فأنتُم إلى الجحيم، فأنتُم كافرون، هذه الحقيقةُ الّتي تُبينها الآية، والرسالةُ هي التوحيدُ والنُبوّةُ وما القُرآنُ إلَّا جُزءٌ يسيرٌ من نُبوّة مُحمَّد صَلَّى اللّهُ عليه وآله، الكافرونَ هُم الّذينَ يكفرونَ ببيعة الغدير، أينَ تضعونَ الطوسي هذا في سياقِ مضمونِ هذه الآية؟

رسالةُ مُحمَّد بِكُلِّ تفاصيلها وأوّلُ فقرة فيها التوحيد، اللّهُ هُنا يقول هذا التوحيدُ يُساوي صفراً من دُون بيعة الغدير، الآيةُ صريحةٌ: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغ مَا أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَّبِّكَ** - ماذا كانَ يقرؤها الصحابةُ في زمانِ رسول اللّه؟ - **أَنَّ عَلِيّاً مَولَى المُؤمِنِينَ**﴾، مثلما قرأتُ عليكُم من كُتُبهم.

"اللّهُ يقول من أنَّ توحيدهُ يُساوي صفراً"، تستغربونَ هذا؟! الآيةُ لا تقول من أنَّ التوحيد يُساوي صفراً من دُون عليٍ أبداً، الآيةُ تتحدّثُ عن بيعة الغدير وليست عن عليٍ، بيعةُ الغديرِ شأنٌ من شؤونِ ولاية عليٍ، وولايةُ عليٍ شأنٌ من شؤونِ إمامته، وإمامةُ عليٍ شأنٌ من شؤونِ عليٍ، عليٌ في مكانٍ آخر. يُمكنني أن أقول من أنّ بيعة الغديرِ من شؤونِ إمامته، والإمامةُ من شؤونِ ولايته، لأنّنا يُمكنُ أن نستعمل الإمامة بمعنى الولاية هُنا، ويمكننا أن نستعمل الولاية بمعنى الإمامةَ هُنا النتيجةُ واحدة، بالنتيجةِ فإنَّ بيعة الغديرِ ما هي بعليٍ إنّها من شؤونِ عليٍ، سُبحانهُ وتعالى يقولُ: من أنّ توحيدي ونُبوّة حبيبي مُحمّد ومن أنَّ قُرآني ومن أنَّ ديني يُساوي صفراً من دونِ بيعة الغدير، ليس من دُونِ عليٍ، من دُونِ بيعة الغدير الآيةُ هكذا تقول: ﴿**يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغ مَا أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّم تَفعَل فَمَا بَلَّغتَ رِسَالَتَهُ**﴾.

في (كتابِ المؤمن)، وهُو من أصولنا القديمة من الكتب الَّتي أُلّفت زمان الأئمّة للحُسينِ بن سعيد الكوفي الأهوازي/ طبعةُ مُؤسّسة الإمام المهدي/ قم المقدّسة/ الصفحة ٣٢/ الحديثُ ٦٢ عن باقرِ العلوم صلَواتُ اللّه وسلامهُ عليه، يُحدِّثُنا عن اللّه: **وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبدٌ بِمثلِ مَا افتَرَضتُ عليه** - "ما افترضتُ عليه"؛ إنّها بيعةُ الغدير، أعلى درجات الافتراض هي هذه بدليل هذه الآية: ﴿**وَإِن لَّم تفعَل فمَا بَلَّغتَ رِسَالَتَهُ**﴾، الفرضُ الأكبر في القُرآن هو هذا، لأنَّ التوحيدَ والنُبوّة والقُرآن والرسالةَ تُساوي صفراً من دُونِ هذا الفرض - **وإِنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّافِلَة حَتَّى أُحبَّه** - ما بعدَ الفرض الأكبر، قطعاً في شؤونِ الفرض الأكبر إنَّها نافلةُ الفرض الأكبر، نافلةُ الفرض الأكبر أن نَزدادَ معرفةً، أن نزدادَ تسليماً، أن نزدادَ سالمَيّةً، أن نزدادَ في معيّتنا معهم (فمَعَكُم مَعَكُم لَا مَعَ غيرِكُم)، هذه المعيّةُ مراتبها لا تُعدّ ولا تُحصى، (**اللّهُمَّ وَالِ مَن وَالَاه وَعَاد مَن عَادَاه وَانصُر مَن نَصَرَه وَاخذُل مَن خَذَلَه**).

"**وَالِ مَن وَالاه**"؛ درجةٌ من درجات المعيّة.

"**وَانصُر مَن نَصَرَه**"؛ درجةٌ من درجات المعيّة.

الزيارةُ الجامعةُ الكبيرة هي القولُ البليغُ الكامل،

- **فإِذَا أَحبَبتُهُ كُنتُ سَمعَهُ الّذي يَسمَعُ بِه، وبَصَرَهُ الَّذي يُبصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبطشُ بِهَا، وَرِجلَهُ الَّتي يَمشي بِها** - يكونُ رِجلي، اللّهُ هكذا يقول، الباقرَ هو الَّذي يُحدِّثنا، وهذه الكُتُبُ أُلّفت زمانَ الأئمّة، للّذي يتقرّبُ إليه بما افترضَ عليه بالفرض الأكبر إنّها بيعةُ الغدير.

• في الجزء الثالث من أجزاء التبيان للطوسي، الآية ٣ بعد البسملة من سورة المائدة، الآيةُ ٣ ترتبطُ ارتباطاً مفصلياً بالآية ٦٧: ﴿**اليَومَ يَئِسَ الَّذينَ كَفَرُوا مِن دينِكُم فَلَا تَخشَوهُم وَاخشَونِ اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلَامَ دِيناً**﴾، هذه هي الآيةُ الَّتي أتحدَّثُ عنها.

مَاذَا كتبَ أبو طوسي؟

في الجزء الثالث في الصفحة ٤٣٤: **وقولهُ** - وقولُ اللّه -: **"اليَومَ يَئِسَ الَّذينَ كَفَرُوا من دينِكُم"، نَصبَ اليومَ على الظرف** - على الظرف الزّماني - **والعاملُ فيه** - باعتبار أنَّ الظرف نحوياً يحتاجُ إلى فعلٍ مُؤثّر، هو الفعلُ العامل - **يئِسَ ذَووا الفسق** - تقديراً - **يَئِس ذَووا الفسق اليوم، وليس يرادُ به يوماً بعينه** - هذا هو الَّذي أقولهُ لكُم نقضُ بيعة الغدير بأُسلوبٍ شيطاني، اليوم المرادُ منهُ يوم الغدير - **ومعناهُ الآن، الآن يَئِس الَّذينَ كفروا من دينكُم** - إذا كان القُرآنُ يريدُ هذا المعنى لماذا استعمل كلمة (اليوم) وعرّفها بالألف واللام؟ الألفُ واللام هذه العهديّة المعهودةُ في الأذهان، إنَّهُ اليومُ المعهودُ الّذي كَمُلَ فيه الدِّين وكرّر الكلمة؛ "**اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم**"، تكرارُ الكلمة مع التعريف بالألف واللام العهديّة، ماذا أقول لهذا؟! - **كما يقول القائل: أنا اليومَ قد كَبرتَ وهذا لا يصلحُ إلى اليوم يريدُ الآن** - وهل هذه روايةٌ نصٌّ؟! فماذا تفعلُ بالنصوص المتوافرة والروايات المتكاثرة والأحاديث المتعاضدة والخُطب الطويلة؟ - **والمعنى أنَّ اللّه قد حوّلَ الخوف الَّذي كان يلحقُكُم منكُم إليهم ويئسوا من بُطلانِ الإسلام وجاءكم ما كُنتم تُوعدون به من قوله؛ "لِيظهِرهُ على الدِّينِ كُلِّه"** - في تفسيرهم هذه الآيةُ لم يأتي تأويلُها، ولم يأتي تفسيرها؛ **هذه تُفسّر في المرحلة الأولى**؛ عندَ ظُهور الحُجّة بن الحسن.

وفي المرحلة الثانية؛ عندَ بداية عصر الرّجعة العظيمة.

والمعنى الأتمُّ والأكملُ في المرحلة الثالثة؛ في الدولة المُحَمَّديَّة العُظمى في آخرِ زمانِ الرّجعة العظيمة.

هذه الآيةُ لها تأويلٌ يأتي على مراحل، ولذا فكلماتُ الأئمّة يقولونَ من أنَّ الآية هذه ما جاء تأويلها، هو يُفسِّرها بما صارَ عليه حالُ المسلمين من أنَّهم تمكَّنوا وتَغلَّبوا على قريش وتغلَّبوا على القبائل العربيّة المشركة وتَغلَّبوا على اليهود الَّذينَ كَفروا بالإسلام.

- **والدينُ اسمٌ لجميع ما تَعبَّد اللّهُ به خَلقه وأَمرهم بالقيام به، ومعنى يَئِسَ انقطعَ طمعُهُم من دينكم أن تتركوه وترجعوا منهُ إلى الشرك، وبهِ قالَ ابنُ عبّاس والسّدّي وعطا** - يُقرأ عطا وعطاء.

وقيلَ إنَّ اليومَ الَّذي ذُكِرَ هُو يومُ عرفة من حَجَّة الوداع بعدَ دُخول العربِ كلِّها في الإسلام، ذهبَ إليه مُجاهد وابنُ جُريج وابنُ زيد.

وقيلَ يومُ جُمُعة - من دون تحديد في أحَد أيّام الجُمعة - **لَمّا نَظرَ النَّبي فلم يرى إلَّا مُسلماً مُوحداً أو لم يرى مُشركاً وهو يؤمُّ المسلمين في صلاة الجُمُعة** - في يومٍ من أيّام الجُمُعة، المهم ألا يكونَ هذا اليوم هو يومُ الغدير هذا هو المهم - **وقولهُ؛ "فَلَا تَخشَوهُم"، هذا خطابٌ للمُؤمنين نَهاهُم اللّه أن يخشوا ويخافوا من الكُفّار أن يَظهروا على دين الإسلام ويقهروا المسلمين ويردوهُم عن دينهم.**

وقولهُ: "اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم"، في تأويله ثلاثة أقوال:

أحدُها؛ قالَ ابنُ عبّاس والسّدّي وأكثرُ المفسرين - من النَّواصب قطعاً - **إنَّ معناه؛ أكملتُ لَكُم فرائضي وحدودي وأمري ونهيي وحلالي وحرامي بتنزيل ما أنزلت وتبيانِ ما بَينتُ لكُم فلا زيادة في ذلك ولا نُقصانَ منهُ بالنَّسخ بعدَ هذا اليوم** - بالنَّسخ ما يرتبطُ بحكم النَّاسخ والمنسوخ - **وكانَ ذلكَ اليوم عامُ حَجّة الوداع، قالوا: ولم يَنزل بعدَ هذا على النَّبي شيءٌ من الفرائض في تحليلِ شيءٍ ولا تحريمه، وأنَّهُ صلّى اللّهُ عليه وآله** - مكتوبٌ هُنا: (وأنَّهُ عليه السَّلام) وهذه صلاةٌ بتراء - **مضى بعد ذلكَ بإحدى وثمانينَ ليلة** - مضى يعني خرج من الدُّنيا استُشهد لَمّا قتلهُ الصحابةُ وبعض نسائه بالسم - **وهو اختيارُ الجُبّائي والبَلخي.**

وقالَ الحكمُ وسعيدُ بن جبير وقتادة معناهُ؛ أكملتُ لَكُم حَجّكم وأفردتُكم بالبلد الحرام تَحجّونَ دُونَ المشركين ولا يُخالطكُم مُشرك وهُو الَّذي اختارهُ الطبري.

وقال الزجّاج: معنى أكملتُ لكُم الدّين كفيتُكُم خوفَ عَدوِّكم وأظهرتُكُم عليهم.

وَرُوي عن أبي جعفرٍ وأبي عبد اللّه: أنَّ الآية نزلت بعدَ أن نَصبَ النَّبيّ عليّاً عَلَماً للأُمَّة يوم غدير خم مُنصرَفهُ عن حَجَّة الوداع فأنزلَ اللّه يومئذٍ: "اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم".

وقولهُ: "وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نعمَتي" خاطبَ اللّهُ تعالى جميعَ المؤمنين بأنَّهُ أتمَّ نعمتهُ عليهم - بِماذا؟ - **بإظهارهم على عدوّهم المشركين** - وليسَ بولاية عليٍ - **بأنَّهُ أتمَّ نعمتهُ عليهم بإظهارهم على عدوهم المشركين ونَفيهم إيّاهُم** - نفي المشركين - **عن بلادهم، وقطعه طَمَعهم** - طمع المشركين - **من رجوع المؤمنين وعودهم إلى ملّة الكُفر، وانفراد المؤمنين بالحجِ والبلدِ الحرام، هذا قول ابن عبّاس وقتادة والشعبي.**

وقولهُ: "وَرَضِيتُ لَكُم الإِسلَامَ ديناً"، معناهُ رَضِيتُ لَكُم الاستسلامَ لأمري والانقيادَ لطاعتي على ما شَرعتُ لَكُم من حدوده وفرائضه ومَعالمه ديناً، يعني بذلك طاعةً منكُم لي، فإن قيل أوما كان اللّهُ راضياً الإسلامَ ديناً لعباده إلَّا يومَ أُنزِلت هذه الآية؟ قيلَ لم يزل اللّه راضياً لخلقهِ الإسلامَ ديناً لكنَّه لَم يَزل يَصِفُ نَبيَّهُ مُحَمَّداً صَلّى اللّهُ عليهِ وآله وأصحابَهُ في درجات الإسلامِ ومَراتبهِ د رجةً بعدَ درجة ومرتبةً بعَد مرتبة وحالاً بعد حال حتَّى أكملَ لَهُم شرائعه وبلغَ بِهم أقصى درجاته ومَراتبه، ثُمَّ قالَ حين أنزلت هذه الآية: "وَرَضِيتُ لَكُم الإِسلامَ دِيناً"، فالصفةُ الَّتي لها اليوم والحال الَّتي أنتُم عليها فالزموه ولا تُفارقوه.
قالَ ابنُ عباسَ وعُمر وعامر الشعبي وقتادة: كانَ ذلكَ يومَ الجُمعة.
وقالَ الطاووس بنُ شِهاب وشهر بن حوشب وأكثرُ المفسرين نزلت هذه الآيةُ يوم عرفة حجّة الوداع.
وروى حنشٌ عن ابنَ عباس قال: وُلد النّبي يوم الاثنين، وخرجَ من مكّةَ يومَ الاثنين، ودخلَ المدينة يومَ الاثنين، وأُنزِلت المائدةُ يوم الاثنين، وأُنزِلت "اليومَ أكمَلتُ لَكُم دينَكُم" يوم الاثنين، ورُفِع الذّكر يوم الاثنين، وقالَ الربيعُ بن أنس: نزلت في المسير من حجّة الوداع - انتهى كلامهُ.
باللّه عليكُم هذا الهراء كُلّه لهُ علاقةٌ بالآية من قريبٍ أو من بعيد؟! لماذا فسّر كُلّ المقاطع بما فيها: (اليومَ أكمَلتُ لَكُم دينَكُم) بما يقولهُ النّواصب ولكنّهُ ذكر قولاً للإمام الباقر والصّادق صلواتُ اللّه عليهما بخصوص: (اليومَ أكمَلتُ لَكُم دينَكُم) فقط؟! لأنَّ الأمر هذا معروفٌ عند الشيعة ولا يستطيعُ أن يتجاوز هذا الأمر، فلابُدّ أن يُشير إلى هذا المقطع وإلى هذه الجُملة فقط: (اليومَ أكمَلتُ لَكُم دينَكُم)، (وأتممتُ عَليكُم نعمَتي) ذهبَ بها بعيداً، (ورَضيتُ لَكُم الإِسلَامَ دِينا) ذهب بها بعيداً، (اليوم يَئِسَ الَّذينَ كَفَروا من دِينكُم) ذهب بها بعيداً، ولم يُفَسر اليوم ببيعة الغدير فسّرهاَ بكُلِّ التفاسير، التفسير الّذي تبنّاه: أنَّ اليوم مَعناها الآن، هذا هو الطوسي، وهذا هو تفسيرهُ، وهذا هو تبيانهُ.
الآيةُ السابعةُ بعدَ البسملة من سورة آل عمران: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيكَ الكِتَابَ منهُ آيَاتٌ مُّحكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِم زَيغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ منهُ ابتِغَاء الفِتنَة وَابتِغَاء تَأويلِه وَمَا يَعلَمُ تَأويلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ في العِلمِ﴾ إلى آخرِ الآية الكريمة،
- ﴿وَمَا يَعلَمُ تَأويلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ﴾، هَذَا العنوان؛ (الرَّاسِخُونَ فِي العلم) مُختصٌّ بمُحَمَّد وآلِ مُحمَّد، لنفترض أنَّ أحداً لم يُخبرنا من أنَّ الرّاسخينَ في العلم هم مُحمَّدٌ وآلُ مُحمَّد، من هُم الّذينَ يأتونَ بعد اللّه بالنسبة لنا؟ إذا كُنّا نعتقدُ من أنَّ الأقربَ إلى اللّه ما بين الخلق مُحمّدٌ وآلُ مُحمّد طبيعي جدّاً فإنَّ الّذينَ يأتمنُهم اللّه على أسراره وعلى علمه وعلى كتابه هؤلاء هُم ولا يوجدُ غيرهم.
في الجزء الثالث من التبيان، الصفحة ٣٩٩: "وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُ"، يعني تفسيرهُ، "إِلَّا اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العلم"، يعني الثابتون فيه، تقول: رَسَخَ الشيءُ رُسوخاً إذا ثَبتَ في موضعه، وأرسخته إرساخاً - ويستمرّ في مثل هذا الكلام يُحدّثنا عن السُدّي وعن مُجاهد وعن عائشة والحسن البصري ومالك والربيع وابن عباس وفلان وفلان ولا يوجدُ ذكرٌ أصلاً لمُحمَّد وآل مُحمّد، لماذا؟ لأنَّ الشيعة لا يحفظون الروايات الّتي ترتبطُ بهذه الآية، هذا هو أسلوبهُ على طول الكتاب.
• في سورة (ص)، الآية ٧٥ بعد البسملة: ﴿قَالَ يَا إِبلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسجُدَ لِمَا خَلَقتُ بِيَدَيَّ أَستَكبَرتَ أَم كُنتَ منَ العَالِينَ﴾، في الآيات السابقة فإنَّ اللّهَ تحدّثَ عن إبليس من أنَّهُ كان مُستكبراً، في الآية ٧١ بعد البسملة من سورة ص وما بعدها: ﴿إِذ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلَائكَة إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً من طِينٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيتُهُ وَنَفَختُ فيه من رُّوحي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدينَ ۞ فَسَجَدَ المَلَائكَةُ كُلُّهُم أَجمَعُونَ ۞ إِلَّا إِبلِيسَ استَكبَرَ وَكَانَ من الكَافِرِينَ﴾، إذاً فالقُرآنُ حكم عليه من أنَّهُ كان مُستكبراً، فجاءت الآيةُ التالية: ﴿قَالَ يَا إِبلِيسُ - اللّهُ يقولُ لهُ - مَا مَنَعَكَ أَن تَسجُدَ لِمَا خَلَقتُ بِيَدَيَّ أَستَكبَرتَ أَم كُنتَ منَ العَالِينَ﴾، الآيةُ هُنا ليست في مقام طلب التوضيح من إبليس هل كانَ مُستكبراً أم لم يكُن، لأنّ الآية الّتي قبلها قد بيّنت استكبار إبليس: ﴿إِلَّا إِبلِيسَ استَكبَرَ وَكَانَ من الكَافِرِينَ﴾، الآيةُ تُريدُ أن تقولَ من أنَّ جهةً عاليةً هي الجهةُ الوحيدةُ الّتي لا تسجدُ إلَّا للّه، والبقيّةُ يسجدونَ لها، لأنَّ الملائكة سجدوا لآدم، لنورٍ من تلكَ الجهة قد أشرق في أبينا آدم، العالُونَ مُحمّدٌ وآلُ مُحمّد.
ماذا يقولُ الطوسيّ الأثول؟
في الجزء الثامن من التبيان، الصفحة ٥٨١: استكبرتَ يا إبليس، أي طلبت التكبَّرَ بامتناعكَ من السجود له - إبليسُ لم يَكُن قد طلبَ التكبّر وإنَّما كانَ مُتكبراً، حتى هذا الكلامُ ليس صحيحاً لأنَّ مادّة الاستفعال هي مادّةُ الاستنتاج، فإنَّ إبليس استخلصَ التكبّر من حسده، لماذا؟ لأنَّكَ يا إبليس استنتجتهُ واستخلصتهُ واستخرجتهُ من أين؟ من حسدكَ الَّذي ترتَّبَ عليه حقدك أيضاً - أم كُنتَ من العَالِينَ الَّذينَ يعلونَ على الخَلقِ تَجبّراً وتَكبّراً - ما هذا ؟! يعني أنَّ اللّه يقولُ لإبليس: أستكبرت أم كُنتَ من المستكبرين؟! الآية واضحةٌ، فإنَّ العالينَ هُنا ممدوحونَ لا يسجدون!
في الجزء السادس من (تفسير البرهان)، للسيّد هاشم البحراني/ طبعةُ مُؤسّسة الأعلمي/ بيروت - لبنان/ الصفحة ٥١٦ من الجزء ٦ من البرهان/ الحديثُ ٩، نقلهُ عن ابن بابويه، عن الصّدوق: بسنده، عَن أَبِي سَعيد الخُدري - صاحب رسول اللّه صلّى اللّهُ عليه وآله - قَالَ: كُنَّا جُلُوساً عندَ رَسُولِ اللّه إذ أَقبَلَ إِلَيه رَجُل فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّه، أخبِرني عَن قَولِ اللّه عَزَّ وَجَلَّ لإِبليس: "أَستَكبَرتَ أم كُنتَ منَ العَالِينَ"، مَن هُم يَا رَسُول اللّه الَّذينَ هُم أعلَى من المَلَائكَة المُقَرّبين؟ - هذا هو الفَهمُ البديهي للغة العرب، هَذا الرَجلُ حينما قرأَ الآية فَهم أنَّ العالينَ ممدوحونَ هُنا، هُم في مرتبة أعلى من المَلائكة وليسوا مَذمُومينَ مثلما يقول هذا الحمارُ الأخرق وهو يتحدَّثُ عن أنَّ العالينَ هُم المُتكَبرونَ والمتجبرون - فَقَالَ رَسُولُ اللّه - مُباشرةً - أَنَا وَعَلِيٌّ وَفَاطمَةُ وَالحَسَنُ وَالحُسَين كُنَّا في سُرَادق العَرش نُسَبِّحُ اللّه فَسَبَّحَت المَلَائكَةُ بِتَسبيحنا قَبلَ أن يَخلُق اللّهُ آدَم بِألفَي عَام، فَلَمَّا خَلَقَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَم أَمَرَ المَلَائكَةَ أن يَسجُدُوا لَه وَلَم يُؤمَروا بِالسُجُود إِلَّا لأجلنا، فَسجَدَت المَلَائكَةُ كُلُّهُم أَجمَعُونَ إِلَّا إِبلِيسَ فَإِنَّه أَبَى أن يَسجُد، فَقَالَ اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "يَا إِبلِيسُ مَا مَنَعَكَ أن تَسجُدَ لِمَا خَلَقتُ بِيَدَيَّ أَستَكبَرتَ أَم كُنتَ منَ العَالِينَ"، من هَؤُلاء الخَمسَة المَكتُوبَة أَسمَاؤُهُم في سُرادق العَرش، فَنَحنُ بَابُ اللّه الَّذي يُؤتَى منه، بِنَا يَهتَدي المُهتَدُونَ - وحقّ الزّهراء يا رسول اللّه بكَ اهتدينا - فَمَن أَحَبَّنَا أَحَبَّهُ اللّه وَأَسكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَمَن أَبغَضَنَا أَبغَضَهُ اللّه وَأَسكَنَهُ نَارَه، وَلَا يُحبُنَا إِلَّا مَن طَابَ مَولِدُه.
• الجزءُ العاشرُ من تبيان الطوسي، سورة القدر.
بنحوٍ إجماليٍّ أُحدّثُكم من دُون أن أقرأ ما جاء في كتاب التبيان، في الصفحة: (٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦)، تحدَّثَ في تفسير سورة القدر وقالَ ما قال، من الآخر لم يُشر إلى أيِّ شيء لا من بَعيد ولا من قريب إلى علاقة هذه السورة بالصدّيقة الكُبرى.
في ثقافة العَترة الطاهرة؛
هذه سورة الزَّهراء، الطوسي كانَ عالماً من عُلماء الشيعة هكذا يُفترض أن يكون لابُدَّ أن يعرفَ من أنَّ سورةَ القدر لها علاقةٌ ولها ارتباطٌ وثيقٌ بالصدّيقة الكُبرى، ولذا في المعراج فإنَّ اللّه سُبحانه وتعالى قال لرسول اللّه في الصَّلاة المعراجيّة من أنَّ سورة التوحيد هي نسبةُ اللّه، ومن أنَّ سورةَ القدر هي نسبةُ مُحَمَّد وآلِ مُحمَّد، وعنوانُ نسبة مُحَمَّد وآل مُحَمَّد فَاطمَة، مثلما جاء في حديث الكساء اليماني الشريف لَمَّا سألَ جبرائيلُ الباري سبحانهُ وتعالى عن الَّذينَ تحتَ الكَساء، فماذا أجابهُ اللّه؟ (هُم فَاطمَةُ وَأَبُوهَا وَبَعلُهَا وَبَنُوهَا)، سورةُ القدر نسبةُ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، العنوانُ الأوَّلُ في مُشَجَّرة نسبة مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، لا أتحدَّثُ عن مُشجَّرة أنساب كَمُشجّراتِ أنساب النَّاس، أتحدَّثُ عن مُشجرة النَّسب الإ لهي، الَحقيقةُ الإلهيّةُ المُشرقةُ في هذه الشَّجرة الزَّيتونة المُباركة الَّتي لا هي بشرقيّة

ولا هي بغربيّة، إنّها تتجلّى، هي أسمى من عوالم الشهادة ومن عوالم الغَيب؛ (لَا شَرقيّة)، هي أسمى من عوالم الغَيب، من عوالم الملأ الأعلى بقضّها وقضيضها، وهي أسمى في كُلّ مظاهرها من عوالم الملأ الأسفل؛ (وَلَا غَرَبِية)، هذه النسبةُ تُترجمُ لفظياً: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُم تَعقِلُونَ**﴾، تُترجمُ هذه النسبةُ الإلهيةُ في سورة القدر، فلا يُمكنُ أنَّ نتحدَّثَ عن سورة القدر من دُون أن نتحدَّثَ عن فَاطمَة.

• سأذهبُ بكُم إلى سورة البَينة، وسورةُ البَينة تأتي بعدَ سورة القدر، فسورةُ القدر هي سورةٌ فَاطميّة، وكذاكَ سُورةُ البَينة هي سورةٌ فَاطميّة، في الآية الخامسة بعدَ البسملة من سورة البَينة: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعبُدُوا اللَّهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ**﴾، هذا هو دينُ اللّه وهُوَ دينُ القَيمَة.

ماذا يقولُ أبو طوسي؟

في الصفحة ٣٠٩: "**وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَة"، أي ذَلك الَّذي تَقدَّم ذكرهُ** - في الآية نفسها وما قبلها - **دينُ القَيِّمَة، وتقديرهُ ذَلكَ دينُ المِلَّة القَيِّمَة، والشَّريعة القَيِّمة** - فمعنى الآية: "وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَة"، كما يقول الطوسي: ذَلك دينُ المِلَّة القَيِّمَة، دينُ الشَّريعة القَيِّمَة، أدري هي تلعب بكيفك أنت؟! من أينَ جئتَ بهذا التقدير؟! "**وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَة**"؛ ظاهر الآية واضحٌ من أنَّ الدِّينَ منسوبٌ إلى جهة، هذه الجهةُ عُبر عنها بالقَيِّمة، جهةٌ مُؤنّثة، والدِّينُ جَاء مُنكَّراً، والقَيِّمةُ جاءت مُعرَّفة بالألف واللام، فحينما أُضيفَ الدّينُ الـمُ نكَّرُ إلى القَيِّمَة الـمُعرَّفة بالألف واللام هذا يعني أنَّ الألفَ واللام هي عهديَّةٌ ومن العهد الذهني، وإلَّا فإنَّ الدِّينَ سوفَ لن يَكونَ مُعرَّفاً وهذا خلافُ البلاغة، لأنَّ القُرآنَ هُنا بشأن تعريف الدِّين، فهذا الدِّينُ الَّذي جاء مُنكَّراً أُضيفَ إلى مُعرَّف بالألف واللام، وهذا الـمُعَرَّفُ مُؤنَّث، هُناكَ شيءٌ معهودٌ في الذهن، القَيِّمَةُ مَن هي في ديننا؟ القَيِّمَةُ مَن هي؟ الآيةُ واضحةٌ: "وذلِكَ دِينُ القَيِّمَة"، ما معنى دينُ المِلَّة القَيِّمَة؟ ما هي الـمِلَّةُ دين!! يعني معنى الآية: "وذلكَ دينُ دينِ القَيِّمَة!!"، ما هذا الهُراء؟!

في الجزء الثاني من (تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة)، روايةٌ طويلةٌ، الصفحة ٨٢٩/ طبعةُ مُؤسّسة الإمام المهدي/ قم المقدَّسة/ للمُحدِّث شرف الدين الاسترابادي النجفي/ الحديثُ الأوّل/ جا برٌ هُنا يُحدِّثنا عن إمامنا الباقر صلواتُ اللّه عليه في تفسيرِ سورة البَينة، إلى أن يقولَ إمامُنا الباقر في الصفحة ٨٣٠: "**وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَة"، قَالَ: هِيَ فَاطِمَة** - القَيِّمَةُ فَاطمَة ومَن غيرُها؟!

إذا رجعنا إلى الآية الخامسة بعدَ البسملة من البَينة: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعبُدُوا اللَّهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ ، الحديثُ عن الدِّين، إذا كانت الآيةُ تريدُ الحديثَ عن الـمِلَّة لذكرت الـمِلَّة، وإذا كانت الآيةُ تُريدُ الحديث عن الشَّريعة لذكرت الشريعة هُنَا: (ومَا أُمروا إلَّا لِيَعبُدُوا اللَّهَ مُخلصين لهُ الـمِلَّة مُخلصينَ لهُ الشريعة)، لماذَا قَالت الآيةُ: "مُخلصينَ لَهُ الدِّين"؟! بعدَ ذلك الآيةُ تُبيِّن لنا تفسيراً وشرحاً لهذا الدِّين: ﴿**وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَة**﴾، الَّذي ماذا يكونُ عليه أصحابهُ؟ ﴿**حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَة**﴾، هذا الدِّينُ الَّذي تحدَّثت عنهُ الآيةُ في أوَّلها هُوَ دِينُ القَيِّمَة، مَن هي القَيِّمَةُ المعهودةُ في أذهاننا؟ بغضّ النظرِ عن الروايات هل يوجدُ غيرها؟! إنَّها أُمُّ أبيها، أُمُّ أبيها إذا كانت قَيِّمَةً بالنسبةِ لأبيها أفلا تكونُ قَيِّمَةً على دينه؟! هُوَ الَّذي يقول: (فَاطِمَةُ أُمُّ أَبِيهَا)، القَيِّمَةُ على الدِّينِ وأهل الدِّين صلواتُ اللّه عليها.

هي الَّتي تتحدَّثُ عنها سورةُ الإسراء في الآية التاسعة بعدَ البسملة: ﴿**إِنَّ هَـذَا القُرآن** - ماذا يفعل؟ - **يِهدي لِلَّتي هِيَ أَقوَمُ**﴾ ، "الَّتي هي"؛ ضميرُ الشأن يعودُ على القَيمة، "**إِنَّ هَـذَا القُرآنَ**"، لماذا لم يَقُلْ: "يَهدي لِلَّتي أقوم"؟ إنَّهُ تأكيدٌ، تأكيدٌ على شأنيَّتها في سورة القدر: "**سَلَامٌ هِيَ**"، إنَّها اللَّيلَة، وفي أحاديثهم: (لَيلَةُ القَدر فَاطمَة، ومَن عَرَفَ فَاطمَة عَرَفَ لَيلَة القَدر)، سورةُ القدر إذا ما فتحتُم المصحف في الصفحةِ نفسها تأتي في الترتيبِ قبلَ سورةِ البَينة.

- ففي سورة القدر: ﴿**سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطلَعِ الفَجرِ**﴾.

- (**هِيَ**) الَّتي في سورة القَدر هي هي الَّتي في سورة البَينة: ﴿**وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَة**﴾.

- ضميرُ الشأن هُوَ هُوَ في الآية التاسعة بعدَ البسملة من سورة الإسراء: ﴿**إِنَّ هَـذَا القُرآنَ يِهدي لِلَّتي هِيَ أَقوَمُ**﴾.

في الآية الثلاثين بعدَ البسملة من سورة الروم: ﴿**فَأَقِم وَجهَكَ للدِّينِ حَنِيفاً** - "حُنَفَاء"، مرّ علينا الوَصفُ في الآية الخامسة بعدَ البسملة من سورة البَينة "حُنَفَاء" - **فَأَقِم وَجهَكَ للدِّينِ حَنِيفاً فِطرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيهَا**﴾، هذه الفطرةُ الفَاطميّة.

أحاديثُ أهل البَيت تقولُ لنا : إنَّ مضمونَ الفطرة الإلهيَّة في الإنسان: (لَا إِلَه إِلَّا اللَّه مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّه عَلِيٌّ وَلِيُّ اللّه)، أُحدِّثكم عن ثقافة دين العترة.

وهكذا نقرأ في زيارة الصدِّيقة الطاهرة صلواتُ اللّه وسلامُه عليها، في مفاتيح الجنان: **وَزَعَمنَا أَنَّا لَكَ أَولِيَاء وَمُصَدِّقُونَ وَصَابِرونَ لِكُلِّ مَا أَتَانَا بِهِ أَبُوكِ صَلَّى اللّهُ عَلَيهِ وَآلِه وَأَتَى بِهِ وَصِيُّه فَإِنَّا نَسأَلُكِ إِن كُنَّا صَدَّقنَاكِ إِلَّا أَلحَقتنا بِتَصدِيقِنَا لَهُم** - هذه الفطرةُ الفَاطميّة، التَّصديقُ الفَاطمي للاعتقاد بِمُحَمَّد وعَلِي - **لِنُبَشِّر أَنفُسَنَا بِأَنَّا قَد طَهُرنَا بِوَلَايَتِك** - طَهُرنا بِفطرتك الفَاطميّة، فَطَمت ذُريَّتها وشيعتها عن النَّار، هذه مراتب؛

- الفَطمُ عن النَّار مرتبة.

- والفَطمُ من النَّار مرتبة.

﴿ **فَأَقِم وَجهَكَ للدِّينِ حَنِيفاً فِطرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيهَا لَا تَبدِيلَ لِخَلقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ**﴾، "ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ"، لاحظوا أنَّ الدِّينَ جاء مُعرّفاً، الوصفُ هُنا للدِّين، لأنَّ الدِّينَ تَعبيرٌ مُذكَّر، لكن حينما تَحدَّثَ عن فَاطمَة قَالَ: ﴿**وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَة**﴾، هذا مَا هو وصفٌ للدِّين حتى يقولَ الطوسي الأغبر الأثول: (من أنَّ معنى "وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَة"، وذلكَ دينُ الـمِلَّة القَيِّمَة)، حينما وُصف الدِّينُ هُنا وُصِفَ بالقَيِّم (وَذَلِكَ الدِّينُ القَيِّم)، الدِّينُ مُذكَّر، والصفةُ تتبعُ الموصوفَ في العربيّة في التذكيرِ والتأنيث، بينما هُناكَ نَسَبَ الدِّينَ إليها ﴿وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَة﴾.

- **وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لَا يَعلَمُونَ**﴾، من أمثال الطوسي.

حديثُ المعرفة بالنّورانيّة.

الجزء ٢٦ من بحار الأنوار/ طبعةُ دار إحياء التُراث العربي/ بيروت - لبنان/ الصفحة الأولى، أميرُ المؤمنين يقولُ لسلمانَ وأبي ذَرّ: **يَا سَلمَانُ وَيَا جُندُب قَالَا: لَبَّيكَ يَا أَمِيرَ المُؤمنين، قَالَ: مَعرِفَتِي بِالنُّورَانِيَّة مَعرِفَةُ اللّه عَزَّ وَجَلَّ، وَمَعرِفَةُ اللّه عَزَّ وَجَلَّ مَعرِفَتِي بِالنُّورَانِيَّة، وَهُوَ الدِّينُ الخَالِصُ الَّذِي قَالَ اللّهُ تَعَالَى: "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعبُدُوا اللَّهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَة".**

إلى أن يقولَ في الصفحة الثالثة من حديث المعرفة بالنّورانية: **وَأَوَّلُنَا مُحَمَّدٌ وَأَوسَطُنَا مُحَمَّدٌ وَآخِرُنَا مُحَمَّدٌ، فَمَن استَكمَلَ مَعرِفَتِي فَهُوَ عَلَى الدِّينِ القَيِّمِ** - هذا وصفٌ للدِّين - **كَمَا قَالَ اللّهُ تَعَالَى: "وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَة".**